



## المحاضرة الثامنة: العنف والاجرام

يعد العنف والإجرام من الظواهر الإنسانية المعقدة التي لا يمكن اختزالها في سلوكيات فردية معزولة، بل هي تعبير عن اختلال عميق في التفاعل بين الفرد ومحيطه النفسي والاجتماعي والثقافي

**(1) تعريفات أساسية:**

❖ **تعريف العنف:** يعد العنف مفهوماً متعدد الأبعاد، وقد تم تعريفه في الأدبيات النفسية والاجتماعية من زوايا مختلفة: يعرف العنف وفق منظمة الصحة العالمية (2002) بأنه الاستخدام المتعمد للقوة البدنية أو السلطة، سواء بالتهديد أو بالفعل، ضد الذات أو ضد شخص آخر أو جماعة، والذي يؤدي أو يُحتمل أن يؤدي إلى إصابة أو موت أو ضرر نفسي. أما من منظور سوسيولوجي، يرى Pierre Bourdieu أن: العنف لا يقتصر على الإيذاء الجسدي، بل يشمل أشكالاً رمزية خفية من الهيمنة تُمارس عبر الثقافة والمعايير الاجتماعية. أما من المنظور الإكلينيكي (المقاربة المعرفية السلوكية)، فيُفهم العنف على أنه: سلوك عدواني ناتج عن تفاعل بين أفكار مشوهة، وانفعالات حادة، وضعف في مهارات الضبط الذاتي، مما يؤدي إلى استجابات غير تكيفية. وتدرج الجمعية الأمريكية للطب النفسي APA العنف ضمن أنماط السلوك المرتبطة باضطرابات مثل اضطراب السلوك واضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، حيث يظهر في شكل انتهاك متكرر لحقوق الآخرين.

### تعريف الإجرام

يعتبر الإجرام مفهوماً يجمع بين البعد القانوني والاجتماعي والنفسي حيث يعرف Émile Durkheim الجريمة بأنها كل فعل يخالف الضمير الجمعي للمجتمع ويُقابل بعقوبة. بينما يرى Edwin Sutherland أن السلوك الإجرامي هو سلوك متعلم يتم اكتسابه من خلال التفاعل مع الآخرين داخل جماعات تيرره. ومن المنظور الإكلينيكي، تشير الجمعية الأمريكية للطب النفسي APA إلى الإجرام ضمن نمط سلوكي مستمر يتمثل في انتهاك القوانين والمعايير الاجتماعية، كما يظهر في اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، مع غياب الشعور بالندم.

### أشكال العنف والإجرام

تتعدد أشكال العنف والإجرام وفق طبيعتهما ومجالات ظهورهما، وقد حاولت الأدبيات النفسية والاجتماعية تقديم تصنيفات دقيقة تعكس هذا التنوع:

**1. العنف الجسدي** تعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: استخدام القوة البدنية الذي يؤدي إلى إلحاق أذى جسدي مباشر بالفرد، مثل الضرب أو الاعتداء أو الإيذاء البدني. أما من منظور إكلينيكي: هو سلوك عدواني مباشر يستهدف الجسد، ويعكس غالباً ضعفاً في التحكم في الاندفاعات أو استجابة انفعالية غير منظمة.

**2. العنف النفسي** هو كل سلوك لفظي أو غير لفظي يهدف إلى إلحاق الأذى النفسي بالآخر، مثل التهديد، الإهانة، التحقير أو العزل الاجتماعي. كما يُفهم إكلينيكيًا على أنه: نمط تفاعلي مستمر يؤدي إلى تقويض تقدير الذات وإحداث اضطرابات انفعالية كالقلق والاكتئاب.

**3. العنف الرمزي** وفق: Pierre Bourdieu هو شكل غير مرئي من العنف يُمارس عبر اللغة والثقافة والمعايير الاجتماعية، حيث تُفرض الهيمنة بطريقة خفية تجعل الأفراد يقبلونها دون وعي. ويُفسَّر نفسياً بأنه: عملية تطبيع للهيمنة تؤدي إلى استبطان الفرد لوضعه الأدنى دون مقاومة.

**4. العنف الجنسي** يعرف وفق منظمة الصحة العالمية بأنه أي فعل جنسي أو محاولة للحصول عليه باستخدام الإكراه، أو التعليقات أو السلوكيات الجنسية غير المرغوب فيها. ومن منظور إكلينيكي: هو انتهاك عميق للحدود الجسدية والنفسية، يرتبط غالباً بآثار صدمية طويلة المدى مثل اضطراب ما بعد الصدمة.

**5. العنف الإلكتروني** يُعرَّف بأنه: استخدام الوسائط الرقمية لإلحاق الأذى بالآخرين، مثل التنمر الإلكتروني، الابتزاز، أو انتهاك الخصوصية. ويُفهم حديثاً في علم النفس على أنه: امتداد رقمي للسلوك العدواني، يتميز بإخفاء الهوية وسرعة الانتشار، مما يزيد من حدته وتأثيره النفسي.

### الأصول النظرية المفسرة للسلوك العدواني

تُظهر الأدبيات العلمية المعاصرة أن تفسير نشوء السلوك العدواني يستند إلى مقارنة تكاملية متعددة المستويات، حيث تتداخل العوامل البيولوجية والعصبية مع المحددات الاجتماعية والقيمية، بما يعكس الطبيعة المعقدة لهذا السلوك.

**الاتجاه البيولوجي-العصبي:** تشير البحوث في مجال علم الأعصاب السلوكي إلى الدور المحوري الذي تضطلع به اللوزة الدماغية (Amygdala) في معالجة المثيرات الانفعالية، خاصة المرتبطة بالخوف والتهديد، وما يرتبط بها من استجابات هجومية. في المقابل، تلعب القشرة الجبهية دوراً تنظيمياً حاسماً في كبح الاندفاعات وضبط السلوك وفق معايير عقلانية. وعليه، فإن أي اختلال في التوازن الوظيفي بين هاتين البنيتين—سواء في شكل فرط نشاط لوزي أو قصور في الضبط الجبهي—قد يسهم في تعزيز النزعات العدوانية، عبر إضعاف آليات الضبط التنفيذي وإطلاق استجابات أولية غير مقيّدة.

**الاتجاه السوسولوجي:** تقدم نظرية الأنومي كما صاغها إميل دوركايم إطاراً تفسيرياً يربط السلوك العدواني بحالة إذ يفترض هذا المنظور أن تآكل المنظومات القيمية والمعايير الأخلاقية—خصوصاً في سياقات التحول الاجتماعي السريع يؤدي إلى فقدان الضبط الاجتماعي، مما يخلق فراغاً معيارياً يدفع الأفراد إلى تبني أنماط سلوكية منحرفة، من بينها العنف، بوصفه استجابة لحالة التفكك واللايقين الاجتماعي.

### الاتجاه القيمي الروحي

يمكن وصف ما يحدث داخل الشخص العنيف بتعطّل في البوصلة الداخلية ينشأ العنف عندما يغيب الوازع الداخلي (الإحسان)، وهو شعور الشخص بأن الله يراه فعندما يغيب هذا الشعور، يضعف الضمير وتسيطر "النفس الأمّارة على تصرفات الإنسان. في هذه الحالة، يتوقف الشخص العنيف عن رؤية الآخر كإنسان مكرم له مشاعر وحقوق، بل يراه مجرد "جماد أو وسيلة" لتفريغ غضبه، وهذا ما يسهل عليه إيذاء غيره دون شعور بالذنب. وبدلاً من أن يشعر بالخطأ، يبدأ عقله في اختراع أعذار تبرر له ظلمه، مما يكسر حواجز الرحمة" الفطرية التي وضعها الله في القلوب لمنع الأذى، فيتحوّل الإنسان من كائن يبني ويرحم إلى كائن يهدم ويعتدي.

### بروتوكول الترميم النفسي الاجتماعي متعدد المستويات

تشير الأدبيات الحديثة في علم النفس الإكلينيكي وعلم الجريمة إلى أن الاقتصار على المقاربة العقابية أو القانونية يؤدي إلى خفض مؤقت في السلوك الإجرامي دون معالجة جذوره العميقة.

أولاً: مستوى الجاني (إعادة التأهيل وإعادة البناء الذاتي)

1. إعادة الهيكلة المعرفية

ترتكز هذه العملية على مبادئ العلاج المعرفي السلوكي، حيث يتم تفكيك "الأنساق المعرفية المنحرفة" التي تبرر العنف (مثل شرعنة السيطرة أو إنكار إنسانية الآخر)، واستبدالها ببنى إدراكية قائمة على المسؤولية والتعاطف.

## 2. إعادة بناء الهوية

لا يكفي تعديل الأفكار، بل يجب إعادة تشكيل "الهوية الأخلاقية". هنا يتم الانتقال من هوية "الجاني" إلى هوية "الفرد القابل للإصلاح"، وهو ما يتقاطع مع مفاهيم إزالة الوصم في علم الجريمة.

## 3. تفعيل آلية التوبة كاستراتيجية علاجية

يمكن فهم التوبة كآلية نفسية-روحية قريبة من مفهوم إعادة التقييم المعرفي، حيث تعيد تنظيم العلاقة مع الذات (من جلد الذات إلى الإصلاح) وتخفف من الصراع الداخلي والشعور بالذنب المرضي و تعزز الضبط الذاتي طويل المدى حيث تشير بعض المقاربات الحديثة إلى أن إدماج البعد الروحي يساهم في خفض معدلات العود الإجرامي عبر تعزيز المعنى والانضباط الداخلي، بدل الاقتصار على الردع الخارجي.

ثانياً: مستوى الضحية (الترميم النفسي واستعادة التوازن)

## 1. العلاج المرتكز على المعنى

يتقاطع هذا التوجه مع مبادئ العلاج بالمعنى التي طورها فيكتور فرانكل، حيث يتم إعادة تأطير التجربة الصادمة وتحويل المعاناة من عبء نفسي إلى تجربة قابلة للفهم مع استعادة الإحساس بالسيطرة والمعنى

2. تفكيك هوية الضحية والهدف هنا هو منع تثبيت الفرد داخل دور الضحية المزمّن، لما لذلك من آثار مثل: العجز المكتسب أو النزعة الانتقامية مع إعادة إنتاج العنف

## 3. الترميم الروحي والوجداني

إن الإيمان بالعدالة الإلهية والتعويض المعنوي يمكن أن يؤدي وظيفة نفسية مزدوجة عن طريق امتصاص مشاعر الحقد والغضب ومنع انتقال الضحية إلى موقع المعتدي

ثالثاً: مستوى المجتمع

1. بناء المناعة الاجتماعية يقصد بها قدرة المجتمع على امتصاص ومنع السلوك الإجرامي قبل تحوله إلى ظاهرة. ويتحقق ذلك عبر تعزيز القيم المشتركة وتقوية الروابط الاجتماعية وكذا تقليل اللامبالاة الجماعية

## 2. تفعيل المسؤولية الاجتماعية

يمكن إعادة تأطير مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ضمن منظور حديث باعتباره آلية ضبط اجتماعي غير رسمي وكنظام إنذار مبكر للسلوك المنحرف يعزز الرقابة الذاتية الجماعية